Journal of Contemporary Quranic Studies
Second year, Fifth Issue, Autumn 2023

Pages: 8–31

جامعة المصطفى العالمية
Al-Mustafa International University
مجمع القرآن والحديث

Exploratory Learning Methods from the Perspective of the Holy Qur'an in the Field of Monotheism *

Seyed Ali Akbar Husseini Al-Nayshaburi[1]
Seyed Mohammad Reza Mousavi Nasab[2]
Seyed Mohammad Sadiq Mousavi Nasab[3]

Abstract

One type of learning is exploratory learning in which the learner is the main focus. This method of learning, which has never been expressed in written form before, has caught the attention of many educationists. Exploratory learning is an issue in educational psychology. Special attention has been given to the teaching mentioned in the Holy Quran. This research was carried out using the analytical-descriptive method and thematic (interdisciplinary) inferential interpretation to explain exploratory learning methods. The research outcomes showed that different methods of this educational method have been used in the Holy Qur'an to teach monotheistic topics. In the exploratory learning theory of Jerome Bruner (an American psychologist), only the problematic or confusing and questioning situation is mentioned. However, many methods were mentioned in the Holy Qur'an and examples of them were given from the Holy Qur'an itself, such as: the method of asking questions, demonstration, comparisons, storytelling, and observation with thinking. In order to achieve exploratory learning, the trainer must use the above methods so that the trainee is compelled to think. As a result, learning becomes deeper and leads to creativity and innovation.

Key words: : The Holy Qur'an, exploratory learning, exploratory learning methods in the field of monotheism, exploratory learning according to Bruner

*. **Date of receiving:** 3 Octobr 2023, **Date of approval:** 11 Octobr 2023.

1. Professor Of Qom Seminary. Dar.almobaleghin@gmail.com (Corresponding author)
2. Member of the Scientific Board of the Imam Khomeini (r.a) Foundation for Education and Research.
3. Member of the Scientific Board of the Imam Khomeini (r.a) Foundation for Education and Research.

جامعة المصطفى العالمية
Al-Mustafa International University
مجمع القرآن والحديث

الدراسات القرآنية المعاصرة
السنة الثانية، العدد الخامس، الخريف ١٤٤٥هـ
الصفحات: ٨-٣١

أساليب التعلم الاستكشافي في مجال التوحيد من منظور القرآن الكريم *

سيد علي أكبر الحسيني النيشابوري[١]
و سيد محمد رضا موسوي نسب[٢] **و سيد محمد صادق موسوي نسب**[٣]

الملخص

إن أحد أنواع التعلم هو التعلم الاستكشافي الذي يكون فيه المتعلم هو محور التركيز الرئيسي، ولقد حظيت طريقة التعلم هذه والتي لم يتم التعبير عنها في شكل مكتوب من قبل، حظيت باهتمام العديد من مدربي التعليم و التربية، إنَّ التعلم الاستكشافي هو أحد قضايا علم النفس التربوي، لقد تم إيلاء اهتمام خاص للتعليم المذكور في القرآن الكريم. المنهج المستخدم في هذا البحث هو المنهج الوصفي التحليلي بنمط التفسير الموضوعي الاستدلالي (متعدد المناهج) وذلك من أجل الوصول لتبيين طرق التعلم الاستكشافي. وتظهر نتائج البحث أنه قد تم استخدام أساليب مختلفة من هذه الطريقة التعليمية في القرآن الكريم لتعليم المواضيع التوحيدية.وفي نظرية التعلم الاستكشافي لجيروم برونر (عالم النفس الأمريكي) لم يذكر سوى الموقف الإشكالي أو المحير. و التساؤل . ولكن ذكرت في القرآن الكريم أساليب كثيرة، وأوردت أمثلة عليها من القرآن الكريم نفسه. مثل: طريقة طرح الأسئلة، والتمثيل، والمقارنات، والسرد القصصي، والملاحظة مع التفكير. ومن أجل تحقيق التعلم الاستكشافي، من الضروري أن يستخدم المدرب الأساليب المذكورة أعلاه حتى يضطر المتدرب إلى التفكير. ونتيجة لذلك، يصبح التعلم أعمق ويؤدي إلى الإبداع والابتكار.

الكلمات الرئيسة: القرآن الكريم، التعلم الإستكشافي، طرق التعلم الإستكشافي في مجال التوحيد، التعلم الإستكشافي عند برونر.

---

*. **تاريخ الاستلام:** ١٧ ربيع الاول ١٤٤٥؛ **تاريخ القبول:** ٢٥ ربيع الاول ١٤٤٥.

١. أستاذ في حوزة قم العلمية (الباحث المباشر) Dar.almobaleghin@gmail.com

٢. عضو الهيئة العلمية فى مؤسسة الإمام الخميني(ره) للتعليم و الأبحاث Smrmn1346@gmail.com

٣. عضو الهيئة العلمية فى مؤسسة الإمام الخميني(ره) للتعليم و الأبحاث. Smsmn4313@gmail.com

المقدّمة

من أجل تحقيق التعلم و الحصــول على المعرفة، تم اقتراح وجهات نظر مختلفة، ولكل منها مزايا وعيوب. إحدى هذه الآراء هي وجهة نظر التعلم الاســتكشــافي[1] التي اقترحها جيروم برونر[2]، عالم النفس الأمريكي. يؤكد هذا الرأي على التنشــيط (مقابل عدم التفاعل) لدى المتعلم لاتخاذ إجراءات أثناء التعلم؛ وهذا النشــاط الذي يمارســه المتعلم في عملية التعلم والفهم الأفضــل للمادة الدرا سية له دور فعال في تعزيز دافعيته. أ يضا تقلل هذه الطريقة من الن سيان وتؤدي إلى فهم بديهي يكون ممتعًا للطالب ويزيد من ثقته بنفسه.

يركز برونر في تنظيره على عملية التفكير أكثر من غيره(ســيف، ١٣٩٥: ١١٤). يعتقد برونر أن الهدف من التعليم هو تنمية التفكير والاستقلال والتوجيه الذاتي لدى الأشخاص.(المرجع نفسه).

إن تطبيق هذا الأسلوب يتطلب معلماً قادراً وكفؤاً، وطلبة جاهزين وموهوبين، وموضوعاً مناسباً، وهذه الأمور تعتبر نوعاً من القيود في هذا المجال. لكن من خلال تطبيق بعض الحلول، يمكن توفير الأساس لاستخدام الفوائد العديدة لهذه الطريقة والحد من قيودها . والمهم أن بناء المعرفة من قبل المتعلمين أنفسهم يؤدي إلى استيعابها وغليانها في داخلهم.

وقد تم اقتراح ثلاث مراحل على الأقل للتعلم الاســتكشــافي، وهي: قبل التعليم، وأثناء التعليم، ومابعد التعليم. في مرحلة ما قبل التعليم يتم تحديد القـ صد أو الهدف واختيار الموقف الإ شكالي أو المحير. وتمر مرحلة أثناء التدر يب بخمس مرا حل فرعية كما يلي: ١. إعداد المتعلمين وشــرح الأســاليب الاســتكشــافية، ٢. تقديم موقف محير، ٣. جمع المعلومات أو البيانات والتجريب، ٤. الفرضية والتفسير، ٥.تحليل عملية الاكتشاف.

وأخيرًا، في مرحلة ما بعد التعليم، يتم تقييم أنشــطة المتعلمين والنتائج التي تم الحصــول عليها وإبلاغ المتعلمين بها.(المرجع نفسه، ٥٤٨).

ويرى علماء النفس والمدربون التربويون أن الطريقة المذكورة تلعب دورًا مهمًا جدًا في مســار التعليم رغم وجود انتقادات لهذه الطريقة و التي ينبغي التحقيق فيها. ورغم أن هذه الطريقة قد تم اقتراحها بطريقة علمية وأكاديمية اليوم، إلا أنها تبدو قد ا ستخدمت فى الما ضي أيضا و هذا حسب النصوص القديمة و الأدلة الواردة عليها. تتضمن هذه الطريقة تحديد الهدف وطريقة التعليم ونشاط

1. Discovery learning
2. Jerome Bruner

المدرب ونشاط المتعلم والتقييم.

والآن، وبالنظر إلى أهمية التعلم - باعتباره أهم سمة معرفية للإنسان - وخاصة في شكله الإستكشافي الذي تم ذكر بعض خصائصه، فإن سؤال البحث هو: كيف تم استخدام أساليب التعلم الإستكشافي في مجال التوحيد من وجهة نظر القرآن الكريم؟

و أهداف البحث هي: ١. دراسة أساليب التعلم الاستكشافي من منظور القرآن الكريم في مجال التوحيد.٢. تطوير أساليب التعلم الاستكشافي ٣. توفير الأرضية اللازمة للتحول في التربية و التعليم.٤. توفير أرضية التحول في الحوزة العلمية والجامعة.

ينطلق البحث الحالي من فرضية مفادها أن القرآن الكريم، باعتباره مصدراً مهماً وقيماً للمعرفة في الإسلام، قد أوكل التعلم وحل العديد من القضايا والمسائل المتعددة في أبعاد العقيدة والأخلاق إلى العقل البشري و في صورة التعلم الاستكشافي، بحيث يتمكن الإنسان من التصرف بعلمه وفهم الامور حسب عقله. أساليب مثل طرح الأسئلة ومواجهة الشكوك والغموض والأمثال والقصص والمقارنات والملاحظة مع التفكير وما شابه ذلك يمكن أن تكون أساس هذا النوع من التعلم.

ولذلك، وبما أن علماء النفس يعلقون دورا هاما على أسلوب التعلم الاستكشافي، فإن الدراسة الحالية تهدف إلى دراسة هذا الأسلوب في القرآن الكريم، من خلال دراسة الحالات التي وردت في القرآن الكريم في مجال التوحيد، لتحديد ما هي المواضيع الفرعية التي استخدمت فيها؟ ومن خلال دراسة هذا السؤال وتحليله يمكننا التوصل إلى أساليب التعلم الاستكشافي في مجال التوحيد من منظور القرآن الكريم.

خلفية البحث

وبحسب التحقيقات التي أجريت في إيراندوك ونورماجز والمصادر المكتبية، فقد تم توضيح أنه لم يتم التحقيق في مركزية السؤال المحدد ومجاله القرآني:

وقد ذكر السيد مهدي برومند ١٣٧٨ في رسالته المعنونة بعنوان «روش‌های تعلیم در قرآن و سنت» الطريقة الإستكشافية وذكر أنواعها بإيجاز كما يلي: الطريقة المقارنة، طريقة الأمثال، طريقة القصة، طريقة التعلم الذاتي من خلال الفحص الذاتي.

هادي حسينخاني، ١٣٨٦هـ، في مقالته المعنونة بعنوان «روش یاد گیری اکتشافی» تناول ضمن تعريفه لأسلوب التعلم الاستكشافي فوائد أسلوب التعلم الاستكشافي، ومراحل التعليم للتعلم

الاستكشافي، والإجراءات قبل التعليم و تعليم الدرس و الإجراءات ما بعد التعليم و قيود الطريقة الإستكشافية والمقترحات.

لقد أشارت خديجة يزداني ١٣٨٨ في مقالتها بعنوان «انواع روش‌های آموزشی نوين، و كاربرد آن‌ها در آموزش قرآن» إلى النمذجة والسرد و التمثيل والاكتشاف وتعلم التركيز والمناقشة الجماعية ولعب الأدوار والبرمجية (خطوة بخطوة) و الكناية و وضع القواعد (صنع الصيغ).

وقد ذكرت ليلي خدام ١٣٨٩هـ في مقالها المعنون بعنوان «روان شناسی قرآن‌كريم در آموزش توحيد به سبک پرسش و پاسخ» أسلوب السؤال والجواب في القرآن والسنة و الآية ٣١ من سورة يونس وأصول طرح السؤال والجواب و خصائص السؤال، وخصائص الإجابة.

شرحت نيره شاه محمدي و بريسا ايران نجاد ١٣٩٣، طريقة التدريس الاستكشافية ومراحلها في مقالتهما بعنوان "روش تدريس اكتشافي".

وفي مقالتها بعنوان "يادگيری اكتشافی" عام ١٣٩٥، أوضحت صديقة يوسف زاده طريقة التعلم الاستكشافي من وجهة نظر برونر وعرضت مبادئها وأسسها. كما بينت تطبيقاتها التعليمية، وبينت كذلك تطبيق هذه النظرية في تخطيط المناهج الدراسية.

في عام ١٣٩٧، تناول عباس يوسفي تازه كندي ومرتضى ساز جيني، وسليم بهلوساي في مقالهم بعنوان «گستره روش اكتشافی انبياء برای انتقال مفاهيم دينی در قرآن و عهدين» الطريقة الإستكشافية للأنبياء في التعاليم والمفاهيم الدينية في القرآن الكريم و الكتب السماوية. ويتضمن هذا البحث موضوعات منها: إنكار عبادة الأوثان، وإنكار الألوهية وربوبية غير الله، وإثبات التوحيد والبعث.

إن الفرق بين البحث الحالي والبحوث المذكورة كما يلي:

لقد تطرق السيد مهدي برومند إلى عدة طرق بصورة إجمالية ولم تذكر ليلي خدام سوى طريقة واحدة في مجال التوحيد، وفي بقية الحالات لم تذكر أي طريقة. تهدف الدراسة الحالية إلى بيان أساليب التعلم الاستكشافي من منظور القرآن الكريم في مجال التوحيد.

المفاهيم

تعني «**الطريقة**»[1] في المعنى اللغوي المذهب و السيرة و الأسلوب. و اما في المصطلح فهي الطريق وقاعدة للوصول إلى هدف عملي. (مصباح يزدى، ١٣٩١: ۴۴۵).

يشير "**التعلم**" إلى عملية إحداث تغيير مستقر نسبيًا في السلوك أو القدرة السلوكية نتيجة للخبرة. ولا يمكن أن ينسب إلى حالات الجسم المؤقتة كالتي تنتج عن المرض أو التعب أو تناول الأدوية.(سيف، ١٣٩٥: ٣٠).

«**التعلم الإستكشافي**»[2] اسلوب يقوم المعلم من خلاله بتنظيم الصف بطريقة تجعل المتعلمين يتعلمون من خلال ارتباطهم النشط بالموضوع. أي أن يشجعهم ويحفزهم على التجربة و الإختبار، وبذلك يكتشفون معارفهم العلمية بأنفسهم (المرجع نفسه: ۵۴۶). يؤكد جيروم برونر على أربعة عوامل في الأنشطة التعليمية: ١- عملية التعلم، ٢- بنية التعلم، ٣- أهمية الاكتشاف والحدس، ۴- الدافع الداخلي.

"التوحيد" في الكلمة: هذه الكلمة أصلها من (وح د) ولها استعمالان:١. تستخدم اسما وتعني شخصا واحدا.٢. أو أن يكون وصفا. "ومعناه الفريد الذي لا مثيل له، وهذا الاستخدام يشير إلى ذات الله" (قرشي ١٤١٢: ٣٣/١، ٣٤). والتوحيد في الاصطلاح هو مبدأ اعتقادي يعني اعتبار الله واحدا أحدا. (مصباح يزدي، ١٣٩٣: ٥٧). وبعبارة أخرى: هو العلم والاعتراف بوحدانية الله تعالى وعدم تشريكه في صفاته. (هاشمي رفسنجاني، ١٣٧٨: ٩٣).التعريف الثاني هو في الواقع ملخص للتعريف الأول.

لم تستخدم كلمة "التوحيد" ومشتقاتها مثل "وَحّدَ" و"يوحّدُ" و"موحد" فى القرآن الكريم مطلقًا؛ بل إن المبدأ الذي يقدمه القرآن باعتباره المبدأ الأساسي مذكور بالكلمات التالية: (احد)، (اخلاص، ١)؛ (واحد)، (كهف، ١١٠)؛ (مالكم من اله غيره)، (اعراف،٥٩)؛ (لا اله الا الله)، (صافات، ۴۵)؛ (لا اله الا هو)، (بقره، ١۶٣)؛ و...

في المباحث الدينية، يعد التوحيد والذي يعني عبادة الله الواحد ، أحد أهم المبادئ الدينية للإسلام وجميع الديانات الإبراهيمية. وترجع أهمية هذا المبدأ إلى أن بقية مبادئ الدين، مثل: النبوة

1. method
2. Discovery learning

والبعث، تقوم، عند كثير من علماء الدين، على مبدأ التوحيد. ولهذا قال النبي (صـــلى الله عليه وآله): «التَّوْحِيدُ نِصْفُ الدِّين؛ ».(الصدوق، ١٣٩٨: ٦٨).

وفي رواية أخرى: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم فقال: ما هو أساس العلم؟ قال حضرته: «مَعْرِفَةُ اللَّهِ حَقَ مَعْرِفَتِه". فسأل ذلك الشخص مرة أخرى: ما هو حق معرفة الله؟ قال النبي صلى الله عليه و آله و سلم: أن تعلم أنه لا مثل له ولا شبيه، وأن تعرف أنه الله الواحد الخالق القادر الأول والآخر والظاهر والباطن، الذي لا مثيل له ولا شـــبيه، هذا هو الحق في معرفة الله. (الشعيري، ٥).

درجات التوحيد

للتوحيد مستويات، نذكر بعضًا من أهمها باختصار:

١. التوحيد في الخلق

والتوحيد في الخلق يعني الاعتقاد بأن لا خالق إلا "الله" وأن سائر المخلوقات هي مخلوقاته.

٢. التوحيد في الربوبية التكوينية

التوحيد في الربوبية التكوينية يعني الإيمان بأن الله وحده هو يدير و يدبر الكون، ولا يمكن لأحد أن يكون له أدنى تأثير على الكون دون إذن الله و إرادته.

٣. التوحيد في الألوهية

والتوحيد في الألوهية يعني الاعتقاد بأن لا أحد يستحق العبادة إلا "الله".

٤. التوحيد في العبادة

والتوحيد في العبادة يعني العبادة بعد الاعتقاد بأنه لا يستحق العبادة أحدا سوى الله؛ وهذا يعني أنه لا ينبغي للإنسان أن يعبد أحداً غير الله عملياً.

٥. التوحيد في الإستعانة

يعني التوحيد في الإســـتعانة أن الإنســـان لا يســـتعين بأحد غير الله. ومعنى اعتبار الله المؤثر الحقيقي هو الإيمان بأنه لا يأتينا منفعة ولا ضـــررا إلا بمشـــيئته. إن شـــرط مثل هذا الاعتقاد هو الإستعانة من الله وحده في الحياة العملية. لأن كل شيء تحت سلطته وأمره، ولم يبق أحدا لنستعين به (مصباح يزدي، ١٣٩٣: ١٦٩).

ومعنى التوحيد في هذا البحث هو الإيمان بوحدانية الله، لا بوحدانية كل شـيء وكل شـخص. وبالنظر إلى شرح مفهوم التوحيد ومستوياته، سنتناول طرق التعلم الاستكشافي في مجال التوحيد.

طرق التعلم الإستكشافي

محور البحث في هذا المقال هو طرق التعلم الاسـتكشـافي من منظور القرآن الكريم في مجال التوحيد.

١.طرح السؤال

الطريقة الأولى للتعلم الا ستكشافي في مجال التوحيد هي طرح الأسئلة. وقد استخدم القرآن الكريم في بعض الأحيان أسلوب مواجهة المخاطب بالأسئلة. وهذا الأسلوب يجعل عقل الإنسان يجتهد ويجعل تفكيره يتطور.

لقد طرحت عدة آيات في القرآن الكريم على شـكل أسـئلة للمخاطبين للتأمل في التوحيد، ومنهـا: البقره، ١٠٧، ٢٥٨؛ الانعـام، ١٤؛ يونس،٣١؛ يوسـف، ٣٩؛ النحـل، ٧٩؛ كهف، ٣٧؛ مريم،٦٥؛ الحج ، ١٨، ٦٣، ٦٥؛ النور، ٤١- ٤٣؛ الفرقان، ٤٥؛ الشـعراء، ٧؛ النمل، ٦٤، ٨٦؛ القصص، ٧١- ٧٢؛ لقمان، ٢٠، ٢٩، ٣١؛ السجده، ٢٦- ٢٧؛ فاطر، ٢٧؛ يس، ٣١، ٦٠- ٦٢؛ الزمر، ٢١؛ غافر، ٧٩؛ الشـورى، ٩؛ ق، ٦؛ الذاريات، ٢١؛ الطور، ٣٥-٤٢؛ الحديد، ٨؛ الملک، ٣، ١٩- ٢١؛ نوح، ١٣، ١٥؛ الانسان، ١؛ عبس، ١٧-١٨؛ الانشقاق، ٢٠-٢١ و...

من الواضح أن دراسة كل هذه الآيات خارجة عن نطاق هذا المقال، لذلك تم شرح إحدى الآيات المذكورة أعلاه حتى يتبين بوضوح تبلور هذا الأسلوب.

ضعف الإنسان

ومن الآيات التي استخدم فيها أسلوب التساؤل، والتي وضع فيها أساس سير التوحيد في الخلق والألوهية، هذه الآية: (هَلْ أَتى عَلَى الْإِنْسانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً) (انسان، ١).

هذه الآية الكريمة تثير هذا السؤال: أليس قد مر وقت طويل ولم يكن هناك شيء يستحق الذكر؟ يجعل المخاطب يفكر ويطرح عليه الأسئلة ليساعده للوصول إلى الإجابة. على سبيل المثال ماهو المراد من الإستفهام الذي طرح في هذه الآية بهل الإستفهامية،هل هو تقرير أم إنكار؟

إن الإستفهام في هذه الآية يفيد التقرير[١] . لقد ذكر حجة الإسلام قرائتي في كتابه حول التقرير: «ومن أجل إيقاظ الضمير النائم، تطرح بعض القضايا على شكل أسئلة. كما تسأل الأم طفلها: ألم أرضعك؟؟ لقد جاءت (هل) في هذه الآية أيضا بمعنى (قد): (هَلْ أَتى عَلَى الْإِنْسانِ ...). (قرائتى، ١٣٨٨: ١٠/ ٣٢١).

ويطرح سؤال آخر نفسه هنا، أن المقصود بالإنسان في هذه الآية نوع الإنسان أم سيدنا آدم عليه السلام؟

يقول الله عزوجل في الآية التالية: (إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشاجٍ)؛ (انسان، ٢). ويفهم من هذه الآية أن المقصود بالإنسان هو نوع الإنسان، أي أنه يشمل جميع البشر.

و يطرح سؤال آخر هنا أنه ما المراد من الجملة (لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً)؟

العقل البشري يقول: كنت لا شيء أيها الإنسان أم كنت في عالم آخر؛ سؤال: أين ذلك العالم؟

يقول الإمام الباقر (عليه السلام) في تفسير هذه الآيه : «كَانَ شَيْئاً وَ لَمْ يَكُنْ مَذْكُورا»؛ (البرقى، ١٣٧١: ١/ ٢٦٣).

يقول الإمام الصادق (عليه السلام) في تفسير هذه الآيه : «كَانَ مُقَدَّراً غَيْرَ مَذْكُور»؛ أي كان الانسان في التقدير الإلهى و لكنه لم يكن موجودا، (الكلينى، ١٤٠٧: ١/ ٤٧١).

يقول آية الله مكارم شيرازى (زيد عزه) : «كانت ذرات الوجود الإنساني، متناثرة كل واحدة في زاوية، بين التربة و في قطرات ماء البحار و في الهواء الموجود في الغلاف الجوي للأرض، كانت المقومات الأساسية لوجوده كل منها في زاوية مختلفة من هذه البيئات الثلاث الشاسعة، وكان حقًا ضائعًا بينها، ولا يمكن ذكر أي شيء منه» . (مكارم شيرازى، ١٣٧٤: ٢٥/ ٣٣٣).

يستفاد من مجموع هذه الأقوال أن الإنسان كان موجودا في المعرفة الإلهية. وكانت جزيئاته موجودة في الكون أيضا. لكنه لم يكن موجودا بالشكل. أي أنه لم يكن شيء هام و من ثم استغرق الأمر وقتا ليصبح كما هو عليه.

عندما يدرك المتربي هذه الإجابات، يدرك أصله وخلقه، و أنه ضعيف جدًا، ويعتبر نفسه حقيرا

[١] . «التقرير يعني جعل شخص ما يعترف. الاستفهام التقريري يعني إجبار المخاطب على الاعتراف والإقرار بحق واضح له، ولسبب ما يتجنب الاعتراف به» .

أمام عظمة الله، و بالتالي فسيقدر نعمه ويشكرها، ويعتبره وحده هو الذي يستحق العبادة و لا يجعل له شريكا. أي أن المتربي يصل إلى التوحيد في الخلق والألوهية عن طريق التأمل، وبالتالي يصل إلى التوحيد في العبادة.

٢.المقارنة

المقارنة هي الطريقة الثانية للتعلم الاستكشافي في مجال التوحيد وهي طريقة في غاية الأهمية. إن العلاقة بين المفاهيم مهم جدا في أمر التعلم. ، يكتسب المتعلم معرفة جديدة عندما يكون هناك ارتباط بين المفاهيم. ومن أجل اكتشاف معلومات جديدة، من الضروري أن يتعلم المتعلم مفاهيم أولية كالتشابه و التضاد بين المفاهيم. لأن المفاهيم المتشابهة والمتضادة أكثر فائدة في اكتشاف المفاهيم. مفاهيم مثل الحق والباطل، العلم والجهل، الدنيا والآخرة، الخير والشر، الصداقة والعداوة، الأبيض والأسود، القبح والجمال، الدفء والبرودة، المر والحلاوة، وغيرها، ويمكن فهمها من خلال تشابهها إلى أحد النقيضين.

ومن الآيات التي وردت في القرآن الكريم على شكل مقارنة حول التوحيد ما يلي: البقره،٧٤، ٨١-٨٢؛ النساء، ٩٥؛ الأنعام، ٨١، ١٢٢، ١٢٥؛ التوبه، ١٠٩؛ هود، ٢٤؛ يوسف، ٣٩؛ رعد، ١٦؛ ابراهيم، ٢٤-٢٦؛ النحل، ٤١-٤٢، ٧٥، ٧٦؛ النمل،٦٠- ٦١؛ فاطر، ٨؛ الزمر، ٩، ١٧-١٩، ٢٩؛ غافر، ٤٢؛ محمد، ١٤؛ الحديد،٤؛ الملك، ٢٢؛ البينه، ٦-٨ و...

وفي هذه الدراسة، وفقاً للآية ٢٤ من سورة هود، تم النظر في أسلوب المقارنة والتعلم الاستكشافي حتى يمكن رؤية تبلور هذا الأسلوب بوضوح.

المؤمنون المبصرون والكافرون الغير مبصرون

ومن الآيات التي استخدم فيها أسلوب المقارنة و ذكر فيها تمهيد للتوحيد في الألوهية و العبادة هذه الآية: (مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمى وَ الْأَصَمِّ وَ الْبَصِيرِ وَ السَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيانِ مَثَلاً أَ فَلا تَذَكَّرُون). (هود، ٢٤).

وقد ورد في هذه الآية حال فريقان: المؤمنون والمكذبون بالوحي الذين رفضوا دعوة رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم. و قد عبر القرآن الكريم عن المؤمنون بالمبصرين و السامعين ، و عبر عن الكافرون بالصم والبكم. وبعد ذلك يطرح هذا السؤال ما إذا كانت هاتان المجموعتان متساويتان. و يترك الجواب على هذا السؤال على عاتق

ذهن المخاطب حيث يدفعه للبحث عن الجواب و من ثم. ينخرط المخاطب في النشـــاط والجهد والتأمل بالتفكير و تثار لديه أسئلة. على سبيل المثال، ما هي خصائص هاتين المجموعتين؟

خصائص المجموعة الأولى بحسب الآية ٢٣ من سورة هود هي: ١- الإيمان، ٢- العمل الصالح، ٣- التسليم و الخضوع لدعوة الحق. ترتبط هذه المكونات الثلاثة ببعضها البعض؛ فالعمل الصالح هو ثمرة شـــجرة الإيمان. فإذا كان الإيمان بالله قوياً، كانت ثمرته العمل الصـــالح. إن الاســـتســـلام والخضوع والثقة بوعود الله هو من آثار الإيمان والعمل الصالح.

خصائص المجموعة الثانية بحسب الآية ١٩ من سورة هود: ١- يصدون الناس عن سبيل الله بشتى الوسائل؛ وهذا العمل يكون إما بخلق الريبة لديهم، وتارة بالتهديد، وتارة بالتطميع ونحو ذلك، والهدف كله واحد، وهو الصد عن سبيل الله. ٢- يحاولون أن يظهروا صراط الله المستقيم معوجا. أي أنهم يحاولون بكل أنواع التحريف والمبالغات والتأويلات حســـب الآراء وإخفاء الحقائق أن يجعلوا هذا الطريق المباشر لا يظهر بشكله الأصلي حتى لا يتمكن الناس من السير في هذا الطريق ولا يجد باحثي الحق الطريق الرئيســـي . ٣- أنهم لا يؤمنون بالبعث ويوم القيامة ، ويكون عدم إيمانهم هذا منشأ انحرافاتهم وجرائمهم الأخرى.

عندما يدرك الإنسان هذه الصفات، يثار له سؤال آخر و أنه لماذا استخدم الله مثل هذه التعابير عن هاتين المجموعتين؟

وجاء في تفســـير النمونه ما يلي: "كما جاء في علم المعاني في كتاب البيان ، ومن أجل تصـــور الحقائق الفكرية وتفســـيرها على المســـتوى العام، تتم مقارنة الأشـــياء المعقولة دائمًا بالأشـــياء المحسوسة. وقد استخدم القرآن هذه الطريقة كثيراً، ويوضح العديد من القضايا الحساسة والمهمة بأمثلة واضحة وجميلة بأفضل الطرق.

يعتبر ما تكلمنا عنه آنفا من هذا النوع أيضا، لأن أكثر الوسائل فعالية لمعرفة الحقائق الحسية في عالم الطبيعة هي العيون والآذان. ولهذا السبب، لا يمكن الاعتقاد بأن الأشخاص الذين حرموا تمامًا من حاسة النظر و السمع كالذين يولدون دون هاتين الحاستين ، يمكنهم فهم شيء صحيح عن عالم الطبيعة الذي نعيش فيه و سيعيشون بالتأكيد في عالم من الظلام الكامل.

وكذلك الذين فقدوا أبصارهم وآذانهم بسبب عنادهم وعدائهم للحق ووقوعهم في براثن التعصب والأنانية وعبادة الذات، لن يتمكنوا أبداً من فهم الحقائق المتعلقة بعالم الغيب. وآثار الإيمان ولذة عبادة الله وعز التسليم أمام حكم الله.

مثل هؤلاء مثل المكفوفين الذين يعيشــون في ظلام دامس وصــمت مميت، بينما المؤمنون الحقيقيون ذوو العيون المفتوحة والآذان الصاغية يرون كل حركة ويسمعون كل صوت، وبناء على ذلك يشقون طريقهم نحو مصير السعادة. (مكارم شيرازى، ١٣٧٤: ٩/ ٦٧).

إن تشــبيه الأمور العقلية بالأمور الحســية في الآية يدل على أهمية المســألة المذكورة، وعندما يتوصــل مخاطب الآية إلى الاســتنتاج عن طريق التعقل و التفكر بأن المؤمنين الحقيقيين قد اســتخدموا العين البصــيرة والأذن الســامعة بصــورة صــحيحة وقد نالوا الســعادة بذلك ولكن منكري الوحي فقدوا أبصــارهم و ســمعهم الذي كان قد يوصــلهم الى الحق بســبب الأنانية والغرور والعناد والعداوة للحق، وأصبحوا بائسين تعيسين. فسيحاولون اتباع طريق الحق الذي هو طريق المؤمنين الصادقين.

وعندما يصــل المتربي إلى هذه الاســتنتاجات بالتفكير والتدبر فإنه غالبا ما يلجأ إلى التوحيد في الألوهية ومن ثم إلى التوحيد في العبادة.

٣. طريقة التمثيل

الطريقة الثالثة للتعلم الاســتكشــافي في مجال التوحيد هي طريقة التمثيل. تعتبر "الأمثال القرآنية" ببساطتها من أهم المفاهيم القرآنية وأكثرها تعقيدا. (مكارم شيرازى، ١٣٨٢: ١/ ٨).

يقول الزمخشري في تعريف لفظ (المثل): «إن أصل الكلمة عند العرب هو «المِثل» أي الشبيه. و «المَثَل» و «مِثل» و «مثيل» ک «الشَبَه»، «شِبه» و «شبيه». وإذا القي كلام على سبيل التمثيل إلى أحد فيقال له "مثل". أن اســتخدام الأمثال في كلام العرب من قبل العلماء له مكانة عالية، مما يزيل الحجاب عن المعاني الخفية ويضــيء النقاط المظلمة، لدرجة أن الخيال يبدو وكأنه حقيقة و يصبح المتوهم متيقننا بذلك. والغائب يظهر كالشاهد، ولهذا ضرب الله في القرآن الكريم وغيره من الكتب الإلهية الأمثال كثيرا، وقد ضــرب نبي الإســلام (ص) وغيره من الأنبياء والحكماء العظماء. أمثلة لا حصر لها. (الزمخشري ١٤٠٧: ١/٧٢).

يعتبر التمثيل من أفضل وأسهل أدوات التفهيم والتعليم، ونظراً لارتباط الإنسان بالأحاسيس فإنه يفهم القضايا الملموسة والمادية بشكل أفضل ويتقبلها بصورة أسرع. إن القرآن الكريم باعتباره كتابا للتربية و التعليم فإنه يعتمد على القضايا الملموسة والحسية.

لقد ذكر التوحيد على شــكل تمثيل في عدة آيات من القرآن الكريم ،منها: البقره، ٢٥٧؛ آل‌عمران، ٥٩؛ الانعام، ٧١؛ الرعد، ١٤، ١٦؛ ابراهيم، ١٨، ٢٤-٢٦؛ النحل، ٧٥، ٧٦؛ الحج، ٣١،

٧٣؛ النور، ٣٥، ٣٩، ٤٠؛ العنكبوت، ٤١؛ الروم، ٢٨؛ الزمر، ٢٩ و...

و سيتم شرح إحدى الآيات المذكورة حتى يتبين بوضوح تبلور هذه الطريقة.

ضعف وعجز الأوثان و الوثنيين

ومن الآيات التي استخدم فيها أسلوب التمثيل والتي يمهد فيها لأساس التوحيد في الربوبية التكوينية والتوحيد في الإستعانة هي هذه الآية: (يا ايُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ انَّ الَّذينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّه لَنْ يَخْلُقُوا ذُباباً وَ لَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَ انْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبابُ شَيْئاً لا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ)؛ (الحج، ٧٣).

في هذه الآية ضرب الله مثلا لعبادة الأصنام وقدم الأصنام على أنها ضعيفة للغاية لدرجة أنها إذا تعاونت مع بعضها البعض، فإنها لا تزال غير قادرة على خلق ذبابة. وإذا أخذ منهم الذباب شيئا لا يستطيعون استعادته. كما قدم المشركين على أنهم قوم ضعفاء. وبهذا المثال، وهو مثال مثير للاهتمام وجذاب و معبر، سينخرط المخاطب في النشاط والجهد والتفكير و ستثار لديه أسئلة. على سبيل المثال: لماذا استخدم الله مثل هذا المثل؟

لقد جاء في كتاب "تفسير نمونة": (وقد دهن مشركو قريش الأصنام التي كانوا يجمعونها حول الكعبة بالمسك والعنبر، وأحياناً بالزعفران أو العسل، وكانوا يرددون حولها "لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك، الا شريك هو لك تملكه و ما ملك"! والذي كان تعبيراً عن شركهم وعبادة الأوثان وتحريف تلبية الموحدين. واعتبروا هذه المخلوقات الوضيعة التافهة شركاء لله، لكن الذباب جاء فجلس على هذه الأوثان وسرق ذلك العسل والزعفران والمسك والعنبر، ولم يكن لهم قوة على استعادته! ولقد استخدم القرآن الكريم هذا المشهد للتعبير عن ضعف وعجز الأصنام وضعف منطق المشركين و قال لهم تنظروا جيدا كيف أن آلهتكم تحت أيدي الذباب وأقدامه وليسوا قادرين على الدفاع عن أنفسهم،؟!ماهذه الآلهة الضعيفة و الرديئة التي تطلبون منها حل مشاكلكم؟!. (مكارم شيرازى، ١٣٧٤: ١٤/ ١٧٢).يأخذ مما ذكرناه أن الاقرآن الكريم استخدم مثالا يتناسب مع الوضعية و الظروف المناسبة لهم.

يطرح سؤال آخر نفسه و يقول: نظرا لأن الأصنام كانت غالبا مصنوعة من الحجر و الخشب فلماذا يقول القرآن الكريم أنها غير قادرة على خلق ذبابة حتى؟

لا قد ذكر القرآن هذا المثال للمشركين آنذاك و لكنه لا يختص بهم وحدهم و يشمل جميع الآلهة غير الله تعالى.

يطرح سؤال آخر نفسه ،أنه كيف يستخدم هذا النموذج المذكور في الآية في عصرنا الحديث الذي يسعى الإنسان لخلق الإنسان في المختبرات و كيف يقول أنهم لايستطعون أن يخلقوا ذبابة؟

لقد يتم خلق الإنسان في المختبرات بواسطة النطفة البشرية (لخلايا الجذعية) التي تنمو وتصبح كائناً حياً، لكن لا يوجد مادة أولية في الخلق. و إذا اجتمع كل مفكري العالم وأرادوا خلق شيء من لا شيء، فلن يتمكنوا من ذلك.

يقول حضرة آية الله مكارم الشيرازي (زيد عزة): "إن الذبابة ليست مجرد مخلوق

دنيء بل بالعكس فإنه من مخلوقات الله الغريبة وإحدى آياته العظيمة. وعلى الرغم من صغر حجمه، إلا أن هذا المخلوق الصغير يمتلك جهازًا تنفسيًا، ونظام تغذية، وفمًا، ولسانًا، ومعدة، وأمعاء، وجهازًا عصبيًا للفهم والإدراك، وعينين، وأذنين، وعضلات قوية جدًا يمكنه استخدامها بتحريك جناحيه بسرعة، و الأعضاء الأخرى أيضا. ومن المثير للاهتمام أن جسم هذا المخلوق الصغير أكثر تعقيدًا ودقة من طائرة كبيرة؛ وصنع مثل هذه الطائرة أسهل من خلق ذبابة!

.لأن الطائرة لا تتكاثر، ولا تملك الإدراك والذكاء والإرادة، ولا تستطيع إعداد طعامها بنفسها، ولا تملك قوة الدفاع و...؛ لكن الذبابة لديها القدرة على فعل كل هذه الأشياء؛ ولذلك فإن الذبابة هي في الواقع إحدى عجائب خلق الله ولا يستطيع أحد أن يخلق مثل هذا المخلوق. واليوم، وعلى الرغم من التقدم الهائل الذي حققته البشرية في مختلف المجالات العلمية، إلا أنها لا تزال لا تملك القدرة على خلق الذبابة".(مكارم شيرازى، ١٣٨٢: ٢/ ٩٩).

ويطرح سؤال آخر، لماذا يعبر الله عن عجز الأصنام بهذا المثال؟

وهو في الواقع يعبر عن أحد أساليب محاربة عبادة الأوثان؛ إن التعبير عن ضعف الأصنام وعجزها أمام قدرة الله هو عامل يقلل من قدسية الأصنام وقيمتها المزيفة، ويجبر المشركين على التفكير والتأمل في آلهتهم، مما قد يثير تساؤلات لديهم. على سبيل المثال: لماذا نعبد صنماً لا عقل له؟ لماذا نعبد صنماً لا يملك أن ينفعنا أو يضرنا؟ لماذا نعبد صنما لا يملك القدرة على الدفاع عن نفسه؟ و..

وعندما يصل المتربي إلى هذه الإجابات بسبب تفكيره فسيدرك التوحيد التكويني في الربوبية، ببيان أن المؤثر الحقيقي الوحيد في هذا العالم هو الله تبارك وتعالى، ونتيجة لذلك فإنه سيلجأ إلى الله تعالى وحده دون غيره في الحاجة و هذا ما يسمى بالتوحيد في الإستعانة

٤.رواية القصص

الطريقة الرابعة للتعلم الاستكشافي في مجال التوحيد هي رواية القصص. ورد للفظ القصة في القرآن الكريم معنيان:

الأول: متابعة شخص أو شيء ما (وَ قالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ)؛ فقالت الأم (موسى) لأخته: تابعي حاله. (قصص، ١١). (فَارْتَدَّا عَلى آثارِهِما قَصَصاً)؛ (الكهف: ٦٤) ورجعوا بنفس الطريق وهم يبحثون عن آثارهما. (الراغب الأصفهاني ٤١٩).

٢. رواية ما حدث؛ (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ)؛؛ ذكرنا لك أفضل القصص. (يوسف، ٣). فَلَمَّا جاءَهُ وَ قَصَ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قالَ لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِين). (قصص، ٢٥). فلما جاءه موسى (شعيب) وشرح له قصته، قال: لا تخف، لقد نجوت من القوم الظالمين! (قنادي، ١٣٩٦: ١٨). وفي كل الأحوال فإن القصة القرآنية تشير إلى أخبار حقيقية حدثت في الماضي، ومن خلال قراءتها أو سماعها تتولد صورة هادفة ومفيدة في العقل البشري. وفي الأساس فإن من مقاصد سرد القصص القرآنية هو التفكر والتحذير: (فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)؛(ويفيقون). (الأعراف، ١٧٦).

إن من أكثر الطرق التعليمية فعالية هي طريقة الاستماع إلى القصة والتأمل فيها. هناك ما يقارب ٢٦٨ قصة ذكرت في القرآن الكريم (قرائتي، ١٣٨٩: ١٧٣). بعض هذه القصص تهدف إلى تعزيز التعبير عن المعتقدات. نضرب مثالا في مجال التوحيد حتى نستعرض طريقة القرآن الكريم التعلم الاستكشافي بوضوح:

قصة نبي الله صالح و قومه

الآيات ٦٢-٦٥ من سورة هود تتعلق بقصة نبي الله صالح وقومه، وهذه السورة مكية (مكارم الشيرازي، ١٣٧٤: ١/٩). ونزلت هذه السورة في آخر سنوات وجود النبي صلى الله عليه وسلم بمكة. الوقت الذي فقد فيه النبي (ص) أعظم أنصاره، أباطالب وزوجته السيدة خديجة (س)، أي أن الوقت الذي نزلت فيه هذه السورة كان النبي (ص) في وضع صعب للغاية. وقد روى الله قصة صالح (ع) وقومه حتى يخطو النبي (ص) خطوات أقوى في رسالته، ويصمد المؤمنون على طريق التوحيد ويحاربوا الشرك وعبادة الأصنام. القصة هي على النحو التالي: (قالُوا يا صالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينا مَرْجُوًّا قَبْلَ هذا أَ تَنْهانا أَنْ نَعْبُدَ ما يَعْبُدُ آباؤُنا وَ إِنَّنا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونا إِلَيْهِ مُرِيبٍ (*) قالَ يا قَوْمِ أَ رَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَ آتانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَما تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ

(*) وَ يا قَوْمِ هذِهِ ناقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوها تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَ لا تَمَسُّوها بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذابٌ قَرِيبٌ (*) فَعَقَرُوها فَقالَ تَمَتَّعُوا فِي دارِكُمْ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ ذلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ)؛ (هود، ٦٢-٦٥).

وفي هذه الآيات إشارة إلى قصة نبي الله صالح (عليه السلام) وقومه، وقد عبرت الآيات عن بعض من كلامهم. عندما يتأمل الإنسان و يقوم بالنشاط والجهد والتفكير فسيتساءل في نفسه و يقول: عندما يدعو صالح (ع) إلى التوحيد و عبادة الله ،فلماذا يقول له معارضوه: لقد كنت أملنا قبل هذا؟

نفهم من السؤال المطروح أن صالح (ع) كان معتمدا لديهم قبل هذا الحدث وكانوا يلجأون إليه في مشاكلهم ويخبرونه بها فيرشدهم. ومن أجل الحد من مهمته الإلهية كانوا يريدون أن يمنعوه عن طريق التودد إليه.

يطرح سؤال آخر نفسه بهذا المضمون، لماذا جاء النبي صالح (ع) بالمعجزة بعد أن قال قومه إننا في شك مما تدعونا إليه؟

و الإجابة على هذا السؤال هي ،إن الإنسان إذا بقي في شك من التوحيد و عبادة الله، سقط في الهاوية. لذلك أراد حضرته أن يحول شكهم إلى علم ليتمم عليهم الحجة و تنتهي بذلك أعذارهم.

يطرح سؤال آخر أنه لماذا لم يتوقف هؤلاء عن عبادة الأصنام بعد أن شاهدوا معجزة نبيهم؟

إن زعماء ذلك القوم الذين كانت مصالحهم في عبادة الأصنام، لما رأوا مصالحهم في خطر، هدموا معجزة نبيهم حتى لا يعرف الناس بحقانية نبي الله (ع)، ونتيجة لذلك بقوا مشركين يعبدون الأوثان. والحقيقة أن المصالح الشخصية والأنانية والعناد عوامل مهمة في عدم قبول الحق و التوحيد.

و سؤال آخر يطرح نفسه: لماذا قال نبي الله صالح (عليه السلام): «فهل أستطيع، وقد وكلت بالرسالة الإلهية، أن أظل صامتًا ولا أقوم بتبليغ الرسالة الإلهية ولا أحارب الانحرافات والقبح؟! في هذه الحالة، إذا عصيت أمر الله فمن يعينني على عقوبته؟!

بهذا البيان أراد النبي أن يجعلهم يدركون قدرة الله الأزلية، وأن كل القوى لا قيمة لها أمام قدرة الله، وأنه ينبغي للمرء أن يعبد شيئًا تفوق قدرته كل القوى.

عندما يدرك المتربي هذه الأمور فسيدرك أن الله وحده هو الذي يستحق العبادة، وعمليا لا يعبد أحدا غير الله . أي أنه يصل إلى التوحيد في الألوهية و من ثم التوحيد في العبادة.

٥.الملاحظة مع التفكير

الطريقة الخامسة للتعلم الاستكشافي في مجال التوحيد هي الملاحظة مع التفكير. وقد أولي القرآن الكريم اهتماماً خاصاً للكلمات التي تعني الملاحظة مع التفكير، ومن أهمها هي،"نظر" و"رأى" و"بصر". وقد وردت في هذا الصدد عدة آيات تستحق الاهتمام و الفكر. ومن هذه الآيات: الأنعام، ٦؛ الأعراف، ١٨٥؛ هود، ٢٤؛ يوسف، ١٠٩؛ النحل، ٧٨، ٧٩؛ المؤمنون، ٧٨؛ الشعرا، ٧؛ الروم، ٩، ٥٠؛ السجده، ٢٧؛ يس، ٧٧؛ غافر،٢١؛ فصلت، ٥٣؛ الاحقاف، ٣٣، ٢٦؛ محمد، ١٠؛ ق، ٦؛ الذاريات، ٢٠- ٢١؛ عبس، ٢٤- ٢٨؛الملک، ١٩؛ الطارق، ٥- ٦؛ الغاشيه، ١٧- ٢٠؛ و... سنناقش في ما يلي آية من الآيات المذكورة أعلاه لنبين مفهوم الملاحظة و النظر مع التفكير حسب الآية الكريمة.

روعة الكون و الخلق

إن القرآن الكريم يحث الناس ويشـــجعهم على الملاحظة مع التفكير في الكون؛ عندما يفكر الإنســـان في الخلق يدرك بعض عجائبه. وقد تناول القرآن الكريم بعض المخلوقات التي لم يهتم الإنسان لخلقتها كالذباب والبعوض والنحل وغيرها.

ومن المخلوقات التي يندهش الإنســان لخلقها هو الإبل. يقول القرآن الكريم: (أَفَلا يَنْظُرُوْنَ الَى الأبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ)؛ (الغاشيه، ١٧).

عندما يتفكر الإنسان في هذه الآية تخلق في مخيلته أسئلة لتوصله إلى الجواب، على سبيل المثال:

١. ماهو نوع الإستفهام في الآية؟

إن المراد من الإســـتفهام في الآية هو التوبيخ، أي لماذا لا تفكرون في خلق هذا الحيوان لحل مشاكلكم العقائدية.

٢. ما سبب أهمية خلق الإبل حسب سياق الآيات؟

والآيات التالية هي على النحو الآتي : (وَ إِلَى السَّماءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (*) وَ إِلَى الْجِبالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (*) وَ إِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ) (الغاشيه، ٢٠).

لقد أشـير في هذه الآيات إلى عظمة خلق السـماء و الأرض والجبال.إن مجيء و ذكر الإبل إلى جانب الموارد المذكورة يدل على أهمية خلقه.

٣. وكيف تم خلق الإبل ليسأل عنه في الآية المذكورة؟

وقد ذكر آية الله مكارم الشيرازي (حفظه الله) خمس خصائص لخلقة الإبل في كتاب (پيام قرآن):

١. إن مقاومة الإبل فريدة من نوعها، خاصة ضد الجوع، فهو يتمتع بقدر كبير من التحمل، كما أنه يقاوم أكثر أمام العطش. تصل مقاومة الإبل أمام الجوع و العطش أحيانًا إلى عشرة أيام أو أكثر، ولهذا السبب فهو أفضل وسيلة للسفر عبر الصحاري الجافة والحارقة، ولهذا سميت بسفينة الصحراء. لأنه يستطيع تخزين الطعام والماء لفترة طويلة وتوفير استهلاكه كذلك.

٢. إن الإبل لا يقتصر على نوع معين من الطعام في غذاءه؛ فغالبًا ما يستخدم كل ما ينمو في الصحاري.

٣. والأغرب من ذلك أن الإبل تستطيع أن تستمر في طريقها و سط عوا صف مليئة بالغبار و الرمال التي تعمي عيون الإنسان و تسد أذنيه. كذلك يستطيع الإبل أن يغلق أنفه مؤقتاً ويحمي أذنيه من الرمال! إن عيناه لها جفنان، وفي العاصفة يجمع أحدهما، فيبصر من خلف الجفن! يقول البعض إن الجمل يمشي مغمض العينين فإنهم يقصدون حالة أجفانه هذه. حتى أن بعض المفسرين كتبوا أنه يجد الطريق جيدًا حتى في الليالي المظلمة!

٤. إن الماشية تختلف عن بعضها. فمنها ما يؤكل لحمها فقط و منها ما يركب. على ظهورها و البعض الآخر نستحدم ألبانها و البعض صالحة لنقل الأحمال عليها. أما الإبل فيحوى هذه الفوائد و المميزات كلها؛ وهو صالح للركوب والحمل، ويستعمل منه ألبانه ولحمه وجلده وشعره.

٥. ومن العجائب الخارقة لهذا الحيوان أنه على عكس الماشية الأخرى فإنه عندما يكون نائماً يوضع عليه حملاً أو يركب عليه فيقوم ويقف على قدميه بحركة واحدة. بينما لا توجد مثل هذه القوة في الحيوانات الأخرى.

لقد كتب البعض أن ذلك بسبب القوة الغريبة المخبأة في رقبته الطويلة، والتي تعمل وفق قانون الروافع الفيزيائية، والذي اكتشفه أرخميدس لأول مرة. - يقولون أن أرخميدس قال: إذا وجدت نقطة دعم خارج الأرض أستطيع أن أهز هذه الكرة الأرضية بأكملها برافعة كبيرة! وهذا في الواقع كل شيء. لأنه وفقا لقانون الروافع فإن الضغط على أحد جانبي الرافعة يتضاعف بالمسافة التي بينه وبين نقطة الارتكاز، ويظهر ضغط كبير على الطرف الآخر من الرافعة، وهو بعيد قليلا عن نقطة الارتكاز. وهكذا فإن الرقبة من خلال الاهتمام بنقطة ارتكازها، وهي قوائم الإبل الأمامية، يو هكذا

يجد الإبل قاعدة الرافعة وبحركة سـريعة وثابتة، يخفف الحمل على ظهره ويسـمح له بالقدرة على تحريك ساقيه. و من ثم يتمكن من الوقوف بسهولة.(مكارم شيرازى، ١٣٨٦: ٤٠٥-٤٠٦).

ويذكرالأستاذ قرائتي (زيد عزة) بعض خصائص الإبل الأخرى في تفسير النور:

٦. يعد الإبل أسرع من الحصان ويحمل أحمالًا أكثر من الحمار.

٧. إن الإبل مروضة لدرجة أن مئات الإبل تستسلم لراع واحد.

٨. باطن قدميه مخلوق للسير على أرض رملية .

٩. إنه الحيوان الأكثر هدوءًا والأكثر صبرا. (قرائتى، ١٣٨٨: ١٠/ ٤٦٤).

وعندما يفكر الإنسان في هذه الصفات يتعجب ويدرك قدرة خالقه وعلمه وحكمته.يقول حضرة آية الله مكارم الشـيرازي (حفظه الله): لا تنسـوا أن جملة (أفلا ينظرون) تأتي من مادة النظر ؛ لكن ليس النظر العادي، بل النظر بفكر ودقة وتفكير. (مكارم شيرازى، ١٣٨٦: ٢/ ٤٠٧).

اذن فإن معنى أسلوب الملاحظة هنا هوالملاحظة مع التفكير، وليس مجرد الملاحظة التي اقترحها ألبرت باندورا عالم النفس الكندي في علم النفس(سيف، ١٣٩٥: ١٧٤). يقال في نظرية باندورا للتعلم الاجتماعي أن المتعلم يتعلم من خلال ملاحظة سلوك الآخرين. وهذا التعلم هو كما يلي:

عندما يلاحظ المتعلم، أي الشخص الذي يلاحظ و ينظر، سلوك شخص آخر و يرى الشخص يحصل على مكافأة أو تعزيزًا لأداء هذا السلوك. فسيتعلم هذا السلوك من الشخص الذى قد حصل على مكافأة. يسـمى هذا النوع من المكافأة أو التعزيز بالتعزيز البديل. بالإضـافة إلى التعزيز البديل في التعلم بالملاحظة، فإن العقوبة البديلة فعالة أيضًا. (نفسه: ١٧٥).

إذن فإن طريقة الملاحظة التي تعد إحدى الطرق التعليمية للتعلم الاسـتكشـافي، ليسـت مجرد ملاحظة ونمذجة؛ ولذلك الآيات ٥١-٥٤ من سـورة البقرة المتعلقة بالعجل السـامري، وكذلك الآية ١٣٨ من سورة الأعراف المتعلقة ببني إسرائيل (الذين بعد عبور البحر طلبوا من النبي موسى(ع) أن يأتي لهم بمعبود مثل الأصـنام التي رأوها) لا تدخل في هذا المجال .وإنما تتضـمن ملاحظة ترتبط أولاً بالتفكير وتؤدي ثانياً إلى الاكتشاف، أي الوصول إلى أشياء جديدة.

سحرة فرعون

وكان فرعون أحد الملوك الذين يدعون الربوبية. وقد دعاه موسى (عليه السلام) إلى قبول إله ،هو إلهه وإله فرعون. فجمع فرعون السحرة وأمرهم أن يهزموه بسحرهم حتى لا يدعي مثل هذا الادعاء ثانية.

فواجه بعضهم البعض وتحدثوا مع بعضهم على النحو التالي: (قالُوا يا مُوسى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَ إِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقى(*)قالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذا حِبالُهُمْ وَ عِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّها تَسْعى(*)فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسى(*) قُلْنا لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلى(*) وَ أَلْقِ ما فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ ما صَنَعُوا إِنَّما صَنَعُوا كَيْدُ ساحِرٍ وَ لا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتى(*) فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّداً قالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هارُونَ وَ مُوسى (*)(طه، ٦٥-٧٠).

(ألقى موسى عصاه فالتهمت ما صنعوا) و سجد السحرة كلهم وقالوا: آمنا برب موسى وهارون!!

ولما رأى السحرة أن عصا النبي موسى (ع) تحولت إلى حية وابتلعت كل ما أعدوه بالسحر وتحولت إلى عصا مرة أخرى، تأملوا الأمر وتوصلوا إلى النتيجة التالية: ما فعل النبي موسى (ع)لم يكن سحرا؛ لأنه لو كان سحرا، على اعتبار أنهم رواد في هذا الأمر، كان ينبغي أن يتغلبوا عليه، وبما أن هذا لم يحدث، فقد أدركوا أن ما قاله النبي صحيح، وأعربوا عن إيمانهم ووقفوا في وجه تهديدات فرعون.

الإستنتاج

إن أسلوب التعلم الاستكشافي له أهمية كبيرة من وجهة نظر الخبراء التربويين وله دور خاص في التعلم. إن الهدف في التعلم الاستكشافي، هو تنمية أشخاص مفكرين ومستقلين وموجهين ذاتيًا، ويمكن تحقيق هذا الهدف من خلال أساليب التعلم الاستكشافية.

في هذه الدراسة تم بحث طرق التعلم الاستكشافي في مجال التوحيد؛ حيث توصلنا إلى النتائج التالية:

١. جيروم برونر اقترح فقط الموقف الإشكالي أو المحير و الاستفهام، ولكن في هذا البحث، بالإضافة إلى هذا الأسلوب، تم استخراج أساليب أخرى من القرآن الكريم، وهي: ١- طرح الأسئلة، ٢- المقارنة، ٣- التمثيل، ٤- رواية القصص و ٥- الملاحظة مع التفكير.

٢. تم تطوير أساليب التعلم الاستكشافي.

٣. تم توفير مجال التحول في المنهج التعليمي وفي الحوزة العلمية والجامعة؛

٤. ويمكن استخدام هذه الأساليب في تفسير آيات القرآن الكريم.

ومن الضروري أن يستخدم المدربون التربويون هذه الأساليب في التعلم الاستكشافي و أن يهيئوا أرضية التفكير للمتربي لجعله يفكر وينمي عقله حتى تلعب هذه الأساليب دورها بشكل جيد وأخيرًا يتعمق التعلم ويحقق المتدرب الإبداع والابتكار.

المصادر

١. القرآن الكريم.
٢. الشعيرى، محمد بن محمد، (بى تا)، جامع الأخبار، ط الأولى، المطبعة الحيدرية للنشر.
٣. الصدوق، محمد بن على، (١٣٩٨)، التوحيد، قم، ط الأولى، دار جماعة المدرسين للنشر.
٤. الإصفهانى، الراغب، (بى تا). المفردات فى غريب القرآن، بيروت، دار المعرفه.
٥. البرقى، احمد بن محمد بن خالد، (١٣٧١). المحاسن، قم: ط الثانية، دار الكتب الاسلاميه.
٦. زمخشرى، محمود بن عمر، (١۴٠٧). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل فى وجوه التأويل، لبنان-بيروت،ط الثالثة، دار الكتاب العربى.
٧. سيف، على اكبر، (١٣٩٥). روانشناسى پرورشى نوين، طهران: ط العاشرة، دوران.
٨. طباطبائى، محمد حسين، (١٣٩٠). الميزان فى تفسير القرآن، لبنان-بيروت: ط الثانية، مؤسسة الأعلمى للمطبوعات.
٩. قرائتى، محسن، (١٣٨٨). نور، طهران: ط الأولى، المركز الثقافي دروس من القرآن .
١٠. ---------، (١٣٨٩). قرآن و تبليغ، طهران: ط الثامنة، المركز الثقافي دروس من القرآن .
١١. القرشى البنايى، (١۴١٢)، قاموس قرآن، طهران، ط السادسة، دارالكتب الإسلامية.
١٢. قنادى، صالح، (١٣٩۶).آشنايى با معارف قرآن تفسير موضوعى ١ (قصه‌هاى قرآن)، قم: ط الخامسة، مركز المصطفى (ص) الدولي للترجمه و النشر
١٣. كلينى، محمد بن يعقوب، (١۴٠٧)، الكافى، ج ٢، طهران: ط الرابعة، دارالكتب الاسلامية.
١٤. مصباح يزدى، محمد تقى، (١٣٩١) فلسفه تعليم و تربيت اسلامى، طهران: ط الثانية ، مؤسسة مدرسة برهان الثقافية (انتشارات مدرسه).
١٥. ----------، (١٣٩٣)، معارف قرآن، قم، ط السابعة، دار نشر مؤسسة الامام الخميني للتربية والبحوث
١٦. مكارم شيرازى، ناصر، (١٣٧۴). تفسير نمونه، طهران: ط الرابعة و الثلاثون، دار الكتب الاسلامية.

١٧. ----------، (١٣٨٢). مثال‌های زیبای قرآن، تهیه و تنظیم، حجت الإسلام ابوالقاسم علیان نژادی، قم، ط الاولی ، دار نسل جوان للنشر
١٨. ----------، (١٣٨۶). پیام قرآن، تهران، چاپ نهم، دار الکتب الاسلامیه.
١٩. هاشمی رفسنجانی، علی اکبر، (١٣٨٧)، برگزیدة فرهنگ قرآن، قم، ط الأولی، دارنشر بوستان کتاب.
٢٠. برنامج حديث الولاية، مجموعة إرشادات المرشد الأعلى آية الله السيدعلى الخامنئي، قم، معهد نور.

Sources

1. **The Holy Qur'an**
2. Al-Barqī, Aḥmad ibn Muḥammad ibn Khālid (1371SH/1992). ***Al-Mahasin*** (second edition). Qom: Dar Al-Kutub Al-Islamiyyah.
3. Al-Qurashī Al-Banāyi (1412 AH/1991). ***Qāmūs Qur'an*** (sixth edition). Tehran: Dar Al-Kutub Al-Islamiyyah.
4. Al-Ṣadūq, Muḥammad ibn Ali (1398SH/ 2019). ***Al-Tawhid*** (first edition). Qom: Dar Jami'at Al-Mudarrisin Publishing House.
5. Al-Shu'airi, Muḥammad ibn Muḥammad (n.d). ***Jāmi' al-Akhbar*** **(first edition).** Al-Haidariyya Publishing Press.
6. Hadith al-Wilayah Software, **Collection of Instructions of the Supreme Leader Ayatollah Sayyed Ali Khamenei**, Qom, Nur Institute.
7. Hāshimī Rafsanjani, Ali Akbar, (1387/2008). ***Bargozide Farhanq Qur'an*** (first edition). Qom: Bostan Kitab Publisher.
8. Isfahānī, al-Rāghib (n.d). ***Al-Mufradāt fī Gharīb al-Qur'an***. Beirut: Dar Al-Ma'rifah.
9. Kulaynī, Muḥammad ibn Yaqūb (1407AH/1986). ***Al-Kāfi*** (fourth edition). Tehran: Dar Al-Kutub Al-Islamiyyah.
10. Makārim Shīrāzī, Nāṣir (1374SH/ 1995). ***Tafsīr Nemuneh*** (thirty-fourth edition). Tehran: Dar Al-Kutub Al-Islamiyyah.
11. Makārim Shīrāzī, Nāṣir (1382SH/2003). ***Mithāl-e-ha-e- Zībā Qur'an*** (first edition). Compiled and edited by: Hojjat al-Islam Abul Qāsim Aliyan Nejadi, Qom: Nasl Javan Publishing House.

12. Makārim Shīrāzī, Nāṣir (1386/2007). ***Payām-e- Qur'an*** (ninth edition). Tehran: Dar al-Kitab al-Islamiyah.
13. Misbah Yazdi, Muḥammad Taqi (1391SH/2012). ***Falsafe Ta'līm wa Tarbiyat Islāmī*** [Philosophy of Islamic Education] (second edition). Tehran: Burhan Cultural School Foundation (school publications).
14. Misbah Yazdi, Muḥammad Taqi (1393/2014). ***Ma'ārif Qur'an*** (seventh edition). Qom: Imam Khomeini Foundation for Education and Research Publishing House.
15. Qanādī, Ṣalih (1396/2017). *Ashnayi ba* ***Ma'ārif Qur'an***, ***Tafsīr Mawḍūī I (Qiṣe-ha Qur'an)*** *(*fifth edition). Qom: Al-Mustafa (PBUH) International Center for Translation and Publishing.
16. Qira'atī, Mohsen (1388SH/2009). ***Tafsīr Nūr*** (first edition). Tehran: Cultural Center on Lessons from the Qur'an.
17. Qira'atī, Mohsen (1389SH/2010). ***Qur'an and Tabligh*** (eighth edition). Tehran: Cultural Center on Lessons from the Qur'an.
18. Saif, Ali Akbar (1395SH/2016). ***Rawanshanasi Parwarshi Novin*** [Modern educational psychology] (tenth edition). Tehran: Doran.
19. Ṭabaṭabaī, Muḥammad Hussein (1390SH/2011). ***Al-Mizān fī Tafsīr al-Qur'an*** (second edition). Beirut: Al-Alami Publishing House.
20. Zamakhsharī, Mahmūd ibn Umar (1407AH/ 1986). *Tafsīr Al-****Kashāf 'An Ḥaqā'iq Ghawāmid Al-tanzīl Wa 'Uyun al-Aqāwīl fī Wujūhu al-Ta'wīl*** (third edition). Beirut: Dar Al-Kitab Al-Arabi